# العدل في الإسلام

هناك أسس وضعها الإسلام للتعامل ما بين النّاس ، من حيث التجارة والتعامل والعمل ، ووضع قيم ومبادئ رفيعة تساعد النّاس على التعامل فيما بينهم من مودّة ورحمة والمحبّة والإيخاء فيما بينهم ، ومن هذا المنظور إنطلق مفهوم العدالة في الإسلام ، فالعدالة ليست محصورة في موضوع معيّن وإنّما تتطرّق الى أبواب عدّة وكثيرة ، ولكن أساس كل العدالات هي العدل ، فمن غير العدل لا يوجد هناك قيم وحضارة إسلاميّة . مفهوم العدل : العدل لغويا : هي عبارة عن الوسط بين الإفراط والتفريط والإعتدال في الأمور ، ويقابلها الظلم والجور ، وعكسها الظلم . العدل مصطلحا :يرمي الى المساواة بين النّاس والعدل فيما بينهم وإعطاء الحقوق دون تفرقة بين النّاس سواء كان لون أو نسب أو مال أو جاه . حقيقة العدل في الإسلام : أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن لأهداف سامية وربانيّة ، ومن أهم سماة القرآن العدل بين النّاس ، لأنّ العدل هو ميزان الله على الأرض ، يقف مع الضعيف حتّى لا يأكله القوي ، ويكون مع المظلوم حتّى ينتصر على الظالم . من سمات العدل في الإسلام أنّه لا عاطفة فيه فلا يتأثر بجنسيّة أو عرق أو نسب ، فإذا كان العدلُ يدخل فيه العاطفة قد دُمّرت مبادئه وقيمهُ الإنسانيّة ، والله عندما وضعَ تشريعاتهُ في القرآن لم يميّز أحد بل الكل سواء ، فالأسس الربانيّة قيمها أسمى من تشريعات البشر ، وكان الرسول أحرصَ النّاس على العدل والمساواة بين النّاس ، وعندما قال الرسول : لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها ، فهنا يعلمنا الرسول القيم الموجودة في القرآن وأنّهُ يجب تطبيقها على كافة طبقات المجتمع وفي أي زمان ومكان فالقرآن كتاب تشريع للأمم الى قيام السّاعة ، كما أمرَ الإسلام بالعدل حرّم الظلم : للظلم سمات كثيرة ومنها ظلم النّفس ، وظلم الآخرين ، وظلم الميراث ، وظلم التمييز في التعامل ، كل هذه أنواع الظلم قد حرّمها الله ورسوله ، فدعوة المظلوم ليست بينهُ وبينَ الله حجاب ، لأنّ الله يبغض الظلم وينصر المظلوم لو بعد حين ، الإسلام دين الوسطيّة فهو يعدل في كل أمور الحياة ، فإنّ الإسلام إذن دينٌ عادل يعدل في حياة الإنسان ، ويعدل في العلاقات بين النّاس ، والغريب أنّ الله أنزل كتاب حياة للإنسان حتّى يجد طريق يستطيع العيش فيه ، والأغرب أنّ الله عزّ وجل انزل كتاب تشريع بين النّاس ولا تطبّقهُ أمّة محمد ، فيتركون كتاب فيه الخير والعدل والإصلاح من أمور لحياة المسلمين ويركضون على تشريعات يضعها الغربيّون لا أسس ولا مبادئ ولا أخلاقيّات فيها ، ونقول أنّ الغرب هم أساس العدل والمساواة ، أتعجّب من أمّة يتركون ما يامرهم الله بفعله وتاريخ عريض للمسلمين الذين نشرو الإسلام لتطبيقهم لقرآن الله ويتركونهُ خلفهم ويركضون وراء ناس لا يفهمون معنى الحياة وهدفها .

## من مبادئ الإسلام

# احترام الكبير .. من مبادئ الإسلام

هاهو ديننا واسلامنا لم يترك لنا شيئاً نعجز عن شرحه ، يالله من دين ، لم يترك لنا صغيرة ولا كبيره الا وقام بشرحها ، احترامك اخي واختي المسلمة لشخص الذي يكبرك سنّاً هو خلق اسلامي اوصانا الله ورسوله الكريم على العمل به ، لتسود الدنيا بالاخلاق ونعيش في مجتمع محترم الصغير فينا يحترم الكبير ويوقره ، والكبير فينا يعطف على الصغير ويحن عليه ، إن تربية الصغار على معرفة حق الكبير واجبٌ على الأهل، لما في ذلك من التدريب على الخلق الإسلاميّ، ورعاية للحقوق التي افترضها الله تعالى على الناس تجاه الكبار في السنّ، فما من عمل يقترفه طفل صغيرٌ اشدّ من أن يتطاول على الكبير، لذلك يقول عليه وعلى آله الصلاة والسلام:«ليس منا من لم يوقر الكبير، ويرحم الصغير، ويعرف لعالمنا حقه». فهو قدنفى عن هذا الإنسان الانتماء إلى الإسلام، بقوله «ليس منا»، ما يؤكد على عظم هذا العمل، وهناك أحاديث كثيرة جداً، تظهر ما يتمتع به المسلمون من آداب رفيعة جداً، منها تكريم الكبار، ورحمة الصغار، وأن يعلم الإنسان للعلماء حقهم، توقير أهل العلم جزء من إيمان الإنسان إن مدلول كلمة الكبير الواردة في الحديث الشريف مدلول واسعٌ لا يقتصر على كبير السنّ، لذا لا بدّ من معرفة الكبير... بادئ ذي بدء، لا بدّ من القول إن الكبير هو الكبير في السنّ، وينبغي أن يُحترم الكبير في السنّ، وفق ما ورد في بعض الأحاديث:«ما أكرم شابٌ شيخاً لسنّه إلا قيّض اللهُ لهُ مَن يُكرمهُ عند سنّه». لكن العالم كبيرٌ كذلك، والرجل حينما يوقّر أهل العلم يكون ذلك جزءً من إيمانه، وهذا من دوافع إقبال النّاس على العلم، أمّا حينما لا يُقدّر المعلم مثلاً يزهد النّاس في هذه الحرفة، فمَ للمعلم وفّه التبجيلاكاد المعلم أن يكونَ رسولاً ولا يُبالغ الإنسان، إذا اعتبر أن مقياس انضباط الأمّة الأخلاقيّ هو توقير الكبار، علماء كانوا، أو معلمين، أو كانوا كباراً في السنّ. لذلك قالوا:العالم شيخٌ ولو كان حدثاً، ولو كان شاباً صغيراً، ما دام طلب العلم فهو كالشيخ، والجاهل حدثٌ ولو كان شيخاً. وقد يكون أحياناً ثمّة مهندسٌ يحمل شهادة عليا في دائرة، وحوله مساعدين وكلهم من كبار السنّ، وتجد إلى جانب مساعدٌ في السنّ يقول له:سيّدي، هو بعمر ابنه، لكن لأنّه طلب العلم فاستحقّ هذا المكان والتكريم. احترام الأب والأمّ من فضل الله علينا في بلاد المسلمين من فضل الله علينا في بلاد المسلمين أنّ المتقدّم في السنّ يبقى بين أولاده يرعونه، ويقدّمون له كل الخدمات، ومثال على ذلك أن إنساناً أخذ والده إلى بلاد بعيدة ليعالجه، فقال له الطبيب: لا يوجد أمل فضيّة أيام، سافر، فلمّا رآه بعد حين لمْ يسافرْ قال له: لمَ لم تسافر ؟ قال له: لا يُمكن أن أسافر، فانتبه هذا الطبيب إلى تلك القيم التي يتمتع بها أبناء المسلمين، فمن فضل الله في بلادنا الإسلامية أنّ الأب محترم، والأم محترمة، وأصعب شيء في المجتمع أن يفقد الكبير احترامه، أو توقيره، وليس هناك من كلام أبلغ من أن يقول النبيّ الكريم:«ليس منّا مَن لم يوقر كبيرنا» من معاني الكبير – 1 المتقدّم في السنّ 2. العالم 3. من كان من أهل السلطة فمن معاني الكبير إمامٌ عالمٌ، في قرية، أو ناحية، وهو رجل مستقيمٌ يسعى لخدمة هذه البلدة، يُقيم العدل بين أفرادها، يُلبي حاجاتها، يحرص على سلامتها وأمنها، فهذا الإنسان يجب أن يُحترم، ويجب أن يُقدر، فصار الكبير من تقدّمت سنّه، ومن كان من أهل العلم، ومن كان من أهل السلطة، إذا كان إنساناً محسناً كريماً فلا بدّ من تكريمه أيضاً. وهل من كلام أبلغ من أنّ النبيّ عليه وعلى آله الصلاة والسلام أرسل كتاباً إلى قيصر، فماذا قال؟ من محمد بن عبد الله إلى عظيم الروم، هل هو عند رسول الله عظيم؟ هذه كياسة، وسياسة، وذكاء، وأدب، وأخلاق عالية، فالإنسان الذي له منصبٌ يحترمه، سواء أكان يشغل منصباً إدارياً، علمياً، دينياً، تحترمه، أي تحترم الكبير، سواء أكان متقدّماً بالسنّ، وهذا هو الحدّ الأدنى، أو كان يشغل منصباً ما عُرف عنه أن يؤذي الناس فيه، وله سمعة طيبة، ضبط اللسان من سمات المؤمن كان سيّدنا العباس بن عبد المطلب هو عمّ رسول الله، وأكبر من رسول الله سناً، سُئل سؤالاً عادياً، أيكما أكبر أنت أم رسول الله ؟ قال: هو أكبر منّي وأنا ولدت قبله. كذلك حصل مرة، إذ توفّى الله عالماً جليلاً، وترك عدداً من الأولاد، وأحد أولاده طالب علم، وقد تسالم إخوته الأكبر منه سناً على خلافته أبيهم، في التدريس، وفي الخطابة، وفي الأعمال الدينية، فلمّا سئل أحد أخوته الكبار أيكما أكبر أنت أم أخوك ؟ قال على الفور: هو أكبر منّي، وأنا ولدت قبله... احفظ لسانك أيّها الإنسان لا يلدغنّك إنّه ثعبانٌ كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان امرأة ذكرها الأبشيهي في مستطرفه فقال : جاءت امرأة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقالت : يا أمير المؤمنين إنّ زوجي يصوم النهار ويقوم الليل ، فقال لها : نعم الرجل زوجك ، وكان في مجلسه رجل يسمى كعبا ، فقال : يا أمير المؤمنين إن هذه المرأة تشكو زوجها في أمر مباعدته إيّاها عن فراشه ، فقال له عمر : كما فهمت كلامها احكم بينهما ، فقال كعب : عليّ بزوجها ، فأحضر ، فقال له : إن هذه المرأة تشكوك ، قال : أفي أمر طعام أم شراب ؟ قال : بل في أمر مباعدتك إيّاها عن فراشك ، فانشدت المرأة تقول : يا أيها القاضي الحكيم انشده إلهي خليلي عن فراشي مسجده نهاره وليله لا يرقده فلست في أمر النساء أحمده فقال الزوج : زهدني في فراشها وفي الحلل أني امرؤ أذهلني ما قد نزل في سورة النمل وفي السبع الطول وفي كتاب الله تخويف يجل فقال له القاضي : إنّ لها عليك حقاً لم يزل في أربع نصيبها لمن عقل فعاطها ذاك ودع عنك العلل فاذا شخص تجاوز حدّه مع آخر، وسكت الآخر عن فعله فسيُعيدها مع إنسان آخر، وإذا أعادها فربّما يكون في ذلك حتفه، والمطلوب إذا تجاوز طفل حدّه يجب أن يوقف عند حدّه. العمل الصالح يطيل العمر هناك استنباط أنّه إذا أكرمت إنساناً في الثمانين فلعل الله عزّ وجل يوصلك إلى سنّ الثمانين، حتّى يُسخر لك شاباً يُكرمك في هذه السنّ. وفي الحديث أنّه «ما أكرم شابٌ شيخاً لسنّه إلا قيّض اللهُ لهُ مَن يُكرمهُ عند سنّه» فالعمل الصالح يُطيل العمر، فيما العكس صحيحٌ، فما تطاول شابٌ على شيخ استخفافاً به إلا قيّض الله له من يستخفّ به ويتطاول عليه عند سنّه.«فإنّ الخير لا يبلى، والشرّ لا يُنسى، والدّيان لا يموت» من إجلال الله إكرام ذي الشّيبة المسلم قلنا في ما تقدّم إنّ الكبير هو المتقدّم في السنّ، والعالم وذا الرتبة الاجتماعيّة، وشاهدنا على العمر حديث شريف، يقول:«إنّ من إجلال الله: إكرام ذي الشّيبة المسلم»، وهذا هو المتقدم في السنّ فقط.«وحامل القرآن غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط». ولذلك قالوا:العدل حسنٌ لكن في الأمراء أحسن، والورع حسن لكن في العلماء أحسن، والصبر حسن لكن في الفقراء حسن، والسخاء حسن لكن في الأغنياء أحسن، والحياء حسن لكن في النساء أحسن، والثوبة حسن لكن في الشباب أحسن. أدب النبي الكريم وأصحابه ورد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، قدم عليه وفد عبد قيس وهم يقولون: قدمنا على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فاشتدّ فرحه، فلمّا انتهينا إلى القوم أوسعوا لنا فقعدنا، فرحّب بنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعانا، ثمّ نظر إلينا، فقال:«من سيّدكم وزعيمكم؟ فأشرنا جميعاً إلى المنذر بن عائذ، فلمّا دنا المنذر أوسع القوم له حتى انتهى من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقعد عن يمين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرحّب به والطفه، وسأل عن بلادهم»، فهؤلاء الصحابة وسّعوا لهؤلاء الضيوف، ووسّعوا لزعيم القوم، وهذه الآداب التي ينبغي أن يتمتّع بها الإنسان. قال:الكبير من تكريمه أن يقدّم للصلاة في الجماعة، وفي التحدّث إلى النّاس، أي تتمنّى عليه أن يُحدّث النّاس، وفي الأخذ والعطاء، أحياناً يكون هناك حفل توزيع جوائز، يختارون أكبر ضيف في الحفل ليقدّم هو الجوائز، هذه من لوازم تكريم الكبير، على الأب ألا يتطاول وينتقد معلم ابنه أمامه الآن في التعليم، إذا كان هناك استهزاء بالمعلم أو تطاول عليه فالمعلم لا يُعلّم، أمّا إن كان هناك احترام، وإنصاف فالمعلم يبذل قصارى جهده ليقدّم كل علمه للصغار، فكيف تتضعضع مكانة المعلّم في الصف، وكيف يُساء إلى القدوة، فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول:«إنّ الحياء خيرٌ كله»، طبعاً، فالفرق كبيرٌ بين الحياء والخجل، فالحياء أدبٌ رفيعٌ أمّا الخجل فمرض نفسيّ، فالخجول يخجل أن يُطالب بحقّه، وهناك فرق بين الخجل كنقيصة بالإنسان، والحياء الذي يكون فضيلة، الحياء شعبة من الإيمان في الحديث الشريف «إنّ لكلّ دين خُلقاً، وخُلق الإسلام الحياء»، فالحياء شعبة من الإيمان، فلذلك حينما يتربّى الطفل على الحياء والأدب يحبّه كل النّاس، فإذا لم ينتبه الأهل لقلة أدبه ولتطاوله كرهه كل النّاس، إذاً، تربية الأطفال على احترام الكبير شيءٌ أساسيّ جداً، أي أن يحترم الابن والده، وأن يحترم عمّه، ويحترم خالته، ويحترم أقرباءه المتقدّمين في السنّ، لما فيه خير الولد وخير المجتمع، وحسنُ العاقبة في الدنيا والآخرة.

## من غزوات الرسول

# غزوة حنين وحصار الطائف

غزوة حنين وقعت في العاشر من شوال في السّنة الثامنة للهجرة بين المسلمين و قبيلتي هوازن و ثقيف في وادي يسمّى حنين بين مدينة مكّة و الطائف . قائد المعركة و سببها كان رجل يسمّى مالك بن عوف النصري من قبيلة هوازن و قد سيّر جيشه حتى وصل بالقرب من مكة ، و عندما وصلت الأخبار للمسلمين وجّه المسلمون جيشاً كبيرا و كان يضم الكثير ممّن أسلموا بعد فتح مكّة و قد أعجبت كثرة الجيش و عدّته و عتاده المسلمين و وصلوا بثقتهم بالجيش إلى حد الغرور و قد قال بعض المسلمين لن نغلب اليوم من قلّة . و كان مالك بن عوف قد قسّم جيشه في صورة مجموعات في مداخل وادي حنين وشعابه على أن يفاجئوا المسلمين بالسّهام وفي يوم الغزوة دخل المسلمون وادي حنين غير عالمين بالكمائن التي تتربّص بهم و فوجئوا بالسّهام تنهال عليهم من كل جانب و هجم عليهم جيش العدو بغتة و تقهقر المسلمون و تراجعوا في غير نظام عندها قام الرّسول صلّى الله عليه و سلّم بالنّداء على المسلمين خاصّة المهاجرون والأنصار فاجتمع عنده مائة رجل ثم قال : « الآن حمي الوطيس : ثم قبض قبضة من تراب و رمى بها وجوه الأعداء و قال «شاهت الوجوه » و قاتل هو و من معه حتى هزم العدو و تقهقروا إلى أوطاس و نخلة و كان معظم الفارّين قد توجّهوا للطائف فأرسل الرّسول فرقة لمطاردة الفارّين إلى الطائف حتى لا يعاودوا مهاجمة جيش المسلمين ، و بعد القضاء على الفارّين منهم توجّه الرّسول إلى الطائف حيث توجد منازل و حصون قبيلة ثقيف و حيث يتواجد قائدهم مالك بن عوف و ضرب عليهم الحصار و لمّا علم الرّسول أنّهم أعدّوا في حصونهم مايكفيهم لو حوصروا عام كامل قرّر الرسول رفع الحصار والرّجوع و مكث بمكان يسمّى الجعرانة ووزع غنائم المعركة .و قد نزلت في غزوة الطائف و موقف المسلمين فيها الآية القرآنية : « وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ () ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ »

# الأشهر الحرم

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» إنّ الأشهر الهجرية العربية هي : محرم وصفر وربيع الأول والثاني ثمّ جمادى الأول، فالثاني يليها رجب فشعبان، ثم رمضان وشوال، وذو القعدة وآخرها ذو الحجة، منها أربعة حرم وهي : محرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة، وسميت بذلك لحرمة القتال فيها، إلا إذا كان رداً على العدوان، وهي أشهر مباركة تضاعف فيها الحسنة والسيئة، كما يعظم فيها وزر الظلم؛ لقوله تعالى : «فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ» . ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم– الأشهر الحرم فقال : «إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم؛ ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مُضر الذي بين جمادى وشعبان»، حتى أنّ العرب قبل الإسلام كانت تعظم الأشهر الحرم، وتدع القتال فيها إلا بعض القبائل كانت تخترق حرمتها ، وفيما بعد ظهر ما يسمى بالنسيء فأخذوا يؤجلون الأشهر الحرم في بعض السنوات ويقدمونها في أخرى، فأنكر الله تعالى عليهم ذلك، وحرم النسيء: « إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ». دلت الأحاديث النبوية أن أفضل الأشهر الحرم هو شهر محرم، وسمي – أيضاً– «شهر الله» لفضله وعظم مكانته : فعن أبي ذر – رضي الله عنه– قال:« سألت النبي – صلى الله عليه وسلم– : أي الليل خير وأي الأشهر أفضل؟ فقال: «خير الليل جوفه، وأفضل الأشهر شهر الله الذي تدعونه المحرم» . يستحب في هذه الأشهر الفضيلة الإكثار من الأعمال الصالحة، والتقرب إلى الله تعالى، والصيام والذكر لتضاعف الأجر والثواب ؛ لحديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– : « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل ». يعود فضل شهر محرم إلى أنه الشهر الذي أنجى فيه موسى – عليه السلام – وقومه، وأغرق فرعون وقومه. قال النبي – عليه الصلاة والسلام – : «إنّالله اصطفى صفايا من خلقه، اصطفى من الملائكة رُسلا ومن النّاس رُسلاً، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضانَ والأشهرَ الحرم، واصطفى من الأيام يومَ الجمعة، واصطفى من الليالي ليلةَ القدر فعظّموا ما عظّم الله » .